دروس الحديث الشريف الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

سلسلة الأحاديث القدسية

((الدعاء))

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ)) [مسلم].

يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا.

(هذا كان الدرس الماضي واليوم مع المقطع الثاني):

((يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ)).

في هذه الجمل الثلاثة يطلب الله تعالى منا أن نسأله، لأن صيغة استفعل في اللغة تعني طلب الفعل، تقول: استخدم، يعني: طلب الخدمة؛ استعمل: طلب العمل استغفر: طلب المغفرة، **استفعل في اللغة تعني طلب الفعل.**

فالله عزَّ وجلَّ يقول: **فَاسْتَهْدُونِي**: أي اطلبوا مني الهداية. **فَاسْتَطْعِمُونِي**: اطلبوا مني الطعام. **فَاسْتَكْسُونِي** :اطلبوا مني الكساء، يعني: اطلبوا مني الرزق.

الحق أنه: ما من حركة في هذا الكون تتحرك، إلا ورب العالمين هو صاحب الفعل فيها، ونحن عباد نتوجه إليه بالأسباب الأرضية، نعمل، نَعم، لكن في الحقيقة الرزق يأتينا منه.

أحيانا يكون تاجران يفتحان مع بعضهما في نفس الوقت، وفي نفس المكان، ولهما نفس الاختصاص، والاثنان متخرجان من الجامعة نفسها، وعندهما كفاءات متقاربة، إن لم تكن متساوية، تجد أحدهما يعمل عملا كثيفا، والآخر بعد حين يُغلق محله! نعم **نحن نعمل بالأسباب الأرضية، لكن الفعّال الحقيقي هو الله عزَّ وجلَّ**.

ومطلوب منك أيها المسلم أن تضع قِسماً من برنامجك للتوجه إلى الله تعالى بالدعاء.

وفي رمضان عندما تكلّم الله تعالى عن آيات الصيام، في آخر الآيات قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة: 186] . فالله تعالى يحب أن ندعوه، وأن نسأله.

وكم من مرة أُغلقت أسباب الأرض، وفُتحت أسباب السماء! كم من مرة في عياداتنا والأطباء كلهم يعلمون، تُغلق الأسباب الأرضية، مستحيل في الطب أن يُعافى هذا المريض، تَعجب بأن أهل المريض، أو أقرانه، أو أصحابه يدعون له، وإذا به بعد حين يَبرأ هذا المريض!.

أليسْ سكارل: طبيب جراح فرنسي، هو ليس عربياً، وليس مسلماً، وليس شيخاً، كتب كتاباً سماه **الدعاء**، وقد حاز هذا الطبيب على جائزة نوبل مرتين، والله لو قرأتم هذا الكتاب مترجما لاعتقدتم بأن شيخا من شيوخ المسلمين قد كتبه، لكن هو كتب ما كتبه لا

من خبرته الدينية، فهو ليس عنده خبرة في وقائع الإسلام، لكن من الوقائع الطبية التي يراها يقول: **لا يشك عاقل بما في الدعاء من أثر في شفاء المرضى.**

منذ شهرين أخبرني أحد الإخوة أن ثلاثة من أطباء الجراحة، أقرّوا أنه لابد له من عملية، وعاجلاً، والطبيب الأخير منهم قال له: لن أدعك تذهب إلى البيت، هناك خطر شديد عليك، يجب أن تذهب مباشرة إلى المشفى، وهذا الأخ أُنهِك من العمليات، ولا يرغب بفعل هذه العملية، قال له: دكتور أمهلني ثلاثة أيام، ثم أعود إليك.

يقول لي: دخلت إلى بيتي، وقلت: يا رب الذي يشفي في هذا الكون أنت، وأنت تقدر أن تشفيني بعملية وبلا عملية، فأرجوك أن تعافيني بلا عملية.

صادف أن أحد الإخوة زاره وكان معه ماء زمزم، لأنه كان في العمرة، فقال له: أنا أتيت لك بماء زمزم، فادع الله ببركة ماء زمزم، وماء زمزم لما شُرب له، فقال: أنا أخذت الماء، ودعوت الله عزَّ وجلَّ، وشربت وبعد أربعة أيام، زار الطبيب، فأجرى له التحاليل، وقال له أنت طبيعي مئة بالمئة.

قال له : لكن أنت قلت لي أني بحاجة إلى عملية؟! فقال له: لا أعلم أنت ماذا فعلت؟ قال له: والله لم أفعل شيئاً، غير أني شربت ماء زمزم على هذه النية.

ذهب إلى الطبيب الثاني فقال له: أنه قد شُفي.

والله إن الفعال في هذا الكون هو الله، تُغلق الأبواب كثيراً في الأرض، لكن هناك باباً في السماء. **استطعموني استكسوني استهدوني.**

كانت قريش تقول: يُسلِم حمار الخطاب، ولا يُسلِم عمر بن الخطاب، لكثرة ما كان عمر في الضلال المبين، كان عمر موغلاً في الضلال، وليس من المعقول أن يُسلِم! ثم صار عمر فاروق الإسلام.

سأسرد عليكم هذه القصة التي أوردها ابن منظور في كتابه: **مختصر تاريخ دمشق**:

رجل كان بدمشق له بغل يكريه من دمشق إلى تل الزبداني، ويحمل عليه الناس، فذكر أنه أكرى بغلة مرة من رجل يحمل عليه متاعاً له، فلما صار خارج الدرب، لقيه رجل وسأله أن يحمله على رأس الحمل بأجرته، قال: فرغبت في الكراء وحملته ولزمت المحجة فلما صرنا ببعض الطريق قال لي: هل لك أن تأخذ بنا هذا الطريق فإنه مختصر ونحن عند مفرق طريقين، فقلت له: أنا لا أخبر هذا الطريق ولا أعرفه. فقال: أنا أعرفه، وقد سلكته مراراً كثيرة. قال: فأخذت الطريق، فأشرفت على موضع وعر وحش وواد عظيم هائل، واستوحشت ونظرت يمنة ويسرة فلا أرى أحداً فبينا أنا كذلك إذ قال لي: أمسك برأس البغل حتى أنزل. فقلت له: أيش تنزل في هذا الموضع؟ مر بنا نلحق البلد بوقت فقال: خذ ويلك رأس البغل حتى أنزل، وقد أشرفت على واد عظيم، تخايل لي أن فيه أقواماً موتى. فأمسكت برأس البغل حتى نزل، ثم أخرج سكيناً عظيماً، وقصدني ليقتلني، فعدوت من بين يديه وقلت: يا هذا، خذ البغل وما عليه. فقال: هذا هو لي، وإنما أريد قتلك. فخوفته بالله، وتضرعت إليه، وبكيت، وحذرته من الله، فأبى وقال: لا بد من قتلك. فاستسلمت في يده، وقلت: دعني أصلي ركعتين، ثم افعل ما بدا لك. فقال: افعل ولا تطول. فكبرت، وأرتج علي القراءة، فلم أذكر من القرآن حرفاً، وأنا واقف متحير وهو جالس يقول: افرغ. فأجرى الله على لساني بعد وقت فقرأت ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ فإذا أنا بفارس قد أقبل من نحو الوادي، وبيده حربة، فرمى بها الرجل فخر صريعاً. فتعلقت بالفارس وقلت: بالله، من أنت؟ فقال: أنا رسول ﴿أمن يجيب المضطر

إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ **قال: فأخذت البغل والحمل، ورجعت إلى دمشق سالماً.**

[تاريخ مدينة دمشق لابن منظور].

لذلك:

- ✓ **إذا أغلقت دونك الأبواب لا تنسى أن هناك بابا لا يغلق أبدا.**
- ✓ **إذا طافت بك الهموم، وعجزت أن تكابدها لا تنسى أن هناك رباً يفرج بين عشية وضحاها.**
- ✓ **إذا دارت بك الدوائر لا تنسى أن الله قريب**

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

كل الأسئلة التي سألت قريش النبي صلى الله عليه وسلم عنها جاء جوابها بقل:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: 222]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 217] كل الأسئلة يسألونك ثم قل، إلا هذا السؤال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ لم يقل له: قل إني قريب، بل تولى الله الإجابة بنفسه فقال: تعالوا لعندي فوراً ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

فالله سبحانه وتعالى يقول: **يا عبادي استطعموني استهدوني استكسوني.**

أحيانا تشعر بأن ابنك لا يستجيب لك، قم بالليل وادع له، أحيانا تشعر بأنك كلما يأتي رمضان تكون جيدا، ثم ينتهي رمضان وتعود كما كنت ، ابق واقفا على باب الله تعالى تطلب منه الهداية.

فنحن في سورة الفاتحة نقول في كل يوم: اهدنا الصراط المستقيم، ونصف سورة الفاتحة دعاء والفاتحة أم الكتاب: ﴿اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:6 – 7]

ابق واقفا على باب الله لا تدري متى يفتح لك الباب، فتصبح من القريبين، لكن ابق قارعا لبابه.

الفضيل بن عياض كان من قطّاع الطرق، ومن أكابر الأشرار، صادف أنه مرة كان يريد أن يأتي إلى قافلة ويسرقها ، وإذا برجل واقف في هذه القافلة، يصلي قيام الليل فسمعه يقرأ في قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16] ألا يكفيك آثام ومعاصي، فوقعت في قلب الفضيل هذه الآية، فقال: بلى آن بلى آن.

عمر بن الخطاب رأى أخته تقرأ:

﴿طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ لِتَشْقَى﴾ [طه:1– 2].فألقى الله الهداية في قلبه.

أنت ابق على باب الله، وهو يريدك أن تبقى على بابه في طعامك وشرابك.

أوحى الله إلى سيدنا موسى: أن يا موسى سلني شراك نعلك، وملح عجينك!.

ما المطلوب؟!.

الحمد لله ننحن بشكل عام، نصلي لكن كثيرين منا بعد الصلاة يلتفت، ويمضي يا أخي قبل أن تمضي إلى عملك، ارفع يديك إلى السماء واسأل الله شيئا، قبل أن تنام في الليل اسأله شيئا، إذا تقلّبت على سريرك في الليل (أحيانا أحدنا يقول: والله أنا أرقت هكذا حتى صلاة الفجر) الله أيقظك، فقُم.

الصالحون يتمنون أن يستيقظوا في مثل هذه الساعة، قُم واسأله وادعوه.

الوظيفة التي تسعى إليه اسأله إياها، العسكرية التي تريد أن تكون جيدة اسأله، زوج لابنتك تريد أن يكون جيدا اسأله، أنت أيتها الفتاة تريدين صاحبة صالحة اسألي الله عزَّ وجل، تريدين هداية اسأليه، تريدين زوجا صالحا يعينك على أمر دينك اسأليه.

المهم أن يبقى الدعاء جزء من برنامج حياتك، ومن لا يسأل الله يغضب عليه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ)) [الترمذي].

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه وباعدنا عما تكرهه وتأباه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.